



Social Use and the Appropriation Approach: A Critical Review of Convergence and Divergence contexts



Received: 01/12/2024; Accepted: 26/04/2026

Halima REGAD *

University of Mostaganem (ALGERIA), Halima.regad@univ-mosta.dz

الاستخدام الاجتماعي ومقاربة التملك: مراجعة نقدية لسياقات التلاقي والتلاقي

الكلمات المفتاحية:

الاستخدام؛
التملك؛
التقنية؛
الاستخدام الاجتماعي؛
تكنولوجيا الاتصال.

ملخص

تهدف هذه الورقة إلى تسليط الضوء على مفهوم الاستخدام الذي يعتبر مفهوما محركا في حقل الإعلام وتكنولوجيا الاتصال، لاقتراحه بالشقين النظري والمنهجي من جهة، ولما له من وظيفة في فهم طبيعة العلاقة التي تجمع بين الفرد المستخدم والمعطى التقني في سياق بناء المعاني السوسيوثقافية من جهة أخرى، حيث سيتم أيضا من خلال هذا الطرح وضع مفهوم Use في موضع مقارنة مع التملك Appropriation لقرب المسافة بين المفهومين في سياق تكنولوجيا الاتصال سعيا منا لإبراز أهم المقاربات النظرية التي ساهمت في تبلورهما، ولإثراء النقاش العلمي الذي أثير حول المظاهر التقنية للآلة وقواعد استعمالها حسب إرادة المستخدمين Users في البناء التكنولوجي للمجتمعات .

Abstract

This paper aims to shed light on the concept of *usage*, a driving notion in the field of media and communication technology, due to its connection with both theoretical and methodological dimensions. Additionally, *usage* plays a pivotal role in understanding the nature of the relationship between the individual user and the technical medium in the context of constructing socio-cultural meanings. Through this discussion, the concept of *Use* will also be compared with *appropriation*, given the proximity between the two notions within the realm of communication technology.

This comparison seeks to enrich the scientific discourse surrounding the technical aspects of tools and the rules governing their use as determined by users.

Keywords:

Use;
Appropriation;
Technological;
Apparatus Social Use;
Communication
Technology.

* Corresponding author, e-mail: halima.regad@univ-mosta.dz

Doi:

1. مقدمة:

يعتبر مفهوم الاستخدام في حقول الإعلام و الاتصال من المفاهيم الضبابية **Ambiguous concepts** التي مازال الغموض يحيط بها، و لم يتوصل الباحثون إلى ضبطه بطريقة متفق عليها، حتى وان كان يبدو بسيطاً ذلك انه مفهوم تتجاسر **Overlapping** فيه العديد من الحقول البحثية، حسب **PIERRE CHAMBAT** (Chambat, 1994, p. 250) الأمر الذي طرح العديد من المحاولات الابسيملوجية التي حاولت أن تُساءل هذا المفهوم وتضع له حدوداً **Set Boundaries** بين الشقين التقني والاجتماعي، في ظل المنظور التفاعلي الذي تتداخل فيه الخصوصيتين التقنية والاجتماعية بين المستخدم والوسيلة. حيث إشراك معنى الاستخدام في الكثير من السياقات بمفهوم تملك الأداة في حد ذاتها و درجة التحكم المعرفي فيها استناداً الى أن مفهوم الاستخدام يقتضي أولاً الوصول إلى التقنية أو الوسيلة، بمعنى أن تكون متوفرة مادياً (بوشنوفة، 2007، ص 50)، لتتدخل بعدها العوامل السوسيو-ديموغرافية **Socio-demographic** التي تعمل على تشجيع الاستخدام أو تعمل على إعاقته، و الأهم من ذلك أنها تخلق اختلافاً و تفاوتاً في التعامل معها من مستخدم إلى آخر كما أورد ذلك جاك بريولت **Jacques Perriault** الذي طرح مفهوم الاستخدام في الثمانينات (1989) من منظور قيمة الاستخدام و ممارسات المستخدمين بعيداً عن التتبع الزمني للإبداعات التقنية ، ليفتح بذلك رؤية نقدية جديدة على المفهوم في حقل علوم الإعلام و الاتصال .

ضمن هذا الطرح، ولفهم عمليات تكوين الاستخدامات والدور الذي تلعبه في حدود إمكانيات المعطى التقني، من الضروري العودة إلى سوسيولوجيا الاستخدامات **Sociology of Uses** بمناهجها النظرية حيث يتم ربط الاستخدامات بعمليات الابتكار مرة، أو بإنشاء البناء الاجتماعي للأنظمة التقنية مرة أخرى، أو من خلال آليات دمج التقنية في الحياة اليومية للمستخدمين . (Millerand, 1998)

هذا ما سنحاول مساءلته من خلال هذا البحث الذي تمحور حول الإشكال التالي :

ماهي نقاط التقاطع والافتراق بين مفهوم الاستخدام والتملك في سياق تكنولوجيا الاتصال؟

2. حفریات في مفهوم الاستخدام :

بالعودة لكلمة "إستخدام" في اللغة العربية فهي مشتقة من الجذر اللغوي "خدم"، والذي يدل على الخدمة والاستعانة بشيء ما لأداء عمل معين. كما يمكن أن تحمل الكلمة العديد من المعاني، منها الاستفادة والاستعمال والتوظيف والاستغلال والتطبيق والاعتماد، بمعنى قيمة الاستعمال **"The Use value"** وما لا يعني مجرد المنفعة فقد يكون للشيء قيمة عالية في نظر الأفراد بالرغم من أنه دون منفعة فعلية. (بومدين مخلوف، 2019، ص 33)

أما في المجال التقني والتكنو-اتصالي يكتسب مصطلح "الاستخدام" أهمية كبيرة. فهو يشير إلى طرق تفاعل الأفراد والمؤسسات مع التقنيات والأنظمة الإلكترونية المتاحة، وأساليب توظيفها بحكمة وكفاءة، وشهد تداول المفهوم تواتراً متسارعاً مع الانفجار الحاصل على مستوى التقنيات وأجهزة الاتصال التي يتم تسويقها على نطاق واسع في السنوات الأخيرة، مما أدى بالباحثين والدرسين للعودة إلى إعادة قراءة مفهوم الاستخدام واعتماد منظور واسع من شأنه التفصيل في إعادة تقييم طبيعة الثقافة التقنية المطلوبة اليوم استجابة للاحتلاك المناسب (Proulx, 2002, p. 184)

Adequate appropriation لأجهزة الاتصال وعلى رأسها الشبكات الرقمية .

في مؤلفه (Perriault, 1989, p. 251) **منطق الاستخدام**: اختبار على آلات التواصل ، **La logique de l'usage, Essai sur les machines à communiquer** ، إذ ليس من الضروري أن يكون الاستخدام أدواتاً لأنه يحمل وظيفة رمزية يضيفها المستخدم على التقنية أو الأداة، (Perriault, 2008, p. 211) وعليه يمكن أن يكون لأداة واحدة عدة استخدامات على حسب الأيدي التي تتواجد بينها :

« Un appareil peut avoir les usages les plus divers selon les mains dans lesquels il se trouve » (Perriault, 2008, p. 128)

أما الباحثين بروكس **Serge Proulx** و فليب بروتون **Philippe Breton** فقد طرحا فصلاً فيما يخص المفاهيم المشابهة و المتداخلة مع مفهوم الاستخدام كالممارسة، الاستعمال، و التملك، إذ من الضروري أن نميز بين "الاستخدام" الذي يربط مباشرة الفرد بصفة خاصة مع الجهاز أو الأداة ، و "الممارسة"، التي تعتبر مفهوماً أوسع تشتمل فيه على علاقة الفرد بالعديد من المجالات و الأنشطة داخل المجتمع مثل العمل والترفيه والاستهلاك، والأسرة، حيث يمكن توظيف مصطلح "ممارسة البريد الإلكتروني" للإشارة إلى الجانب العملي لهذا المفهوم، و الطريقة الفعلية لتنفيذ النشاط، و يمكن أن يميل مفهوم الاستخدام إلى درجة من التطابق مع الممارسة في المعنى عندما يلحق به صفة (نعت)

اجتماعي (Breton & Proulx, 2002, p. 257) (l'adjectif social) أو ما يصطلح عليه الاستخدامات الاجتماعية (les usages sociaux) والتي ينظر لها على أنها أنماط من الاستعمالات تبرز بشكل متكرر في صيغة عادات اجتماعية في يوميات المستخدمين كي تكون قادرة على المقاومة كممارسات خصوصية، أما الاستعمال فانه يقتصر على إدراك الأداة أو التقنية والتعامل معها بصفة بسيطة لا تخرج عن نطاق استيعابها كوسيلة مادية بين يدي الفرد أي انه يحيل إلى المعنى الأداتي الصرف. في حين يتطلب التملك الذي يتم دراسته وتحليله من قبل سوسيولوجيا الاستخدامات (la sociologie des usages) حسب رأي نفس الباحثين الإلمام المعرفي والإضافات الإبداعية في الممارسات اليومية للأفراد بهدف صياغة أساليب تجديدية في التعامل مع التقنية. (Breton & Proulx, 2002, p. 255)

وقد يمثل الاستخدام فعل استهلاك مضمون في مجال الاتصالات الحديثة من طرف فرد أو جماعة، وقد يكون هذا الاستخدام ممنهجا ومخططا وقد يكون وفق توظيف أدوات إدراكية بأسلوب تفاعل واع لكي يستوعب معلومات المحتويات التي يتعرض لها، بداية من فعل اختيار الوسيلة التي يستخدمها، (بومدين مخلوف، 2019، ص 34) وأن هذا الاختيار مبني وفق الخلفيات الاقتصادية، الديموغرافية والثقافية وقد يمتد لاختيار متى (زمن الاستخدام) وأين (وقت الاستخدام) يوظف الفرد هذه الأدوات.

في ظل النزعة الاستهلاكية Consumerism للمجتمعات الحديثة فقد اقترب مفهوم الاستخدام أكثر من الاستهلاك باعتبار التقنيات بوصلة للوصول إلى تفضيلات الجمهور ومن ثم إخضاعها لمبدأ العرض والطلب واستحداث العدة التقنية (Proulx, Rueff, & Lecomte, 2007, p. 27) لممارسات يومية فردية أو جماعية، وهذا ما يذهب إليه التيار الفرنكفوني في تناول فكرة توظيف وسائل الاتصال على أنها موضوع تقني يعمل على تشيؤ الإنسان reification بين المنفعة والاستهلاك، ولم يبق الإنسان هو الكائن الاجتماعي، بالمعنى الإنساني الحضاري، بل أصبح فردا تقنيا خاضعا لهيمنة تكنولوجية حولته لآلة أكثر من الآلات التي طورها وابتكرها. وبالتالي فان المنطق الصناعي والاقتصادي يفرض نفسه على مستخدم تكنولوجيا الإعلام والاتصال، كأن يتم يتحول الهاتف من وسيلة اتصال بين الأفراد إلى وسيط يربط بين المستهلك والمستهلك في ظل الاستهلاك عن بعد Remote consumption (مشاهدة أفلام Netflix، خدمات التوصيل، التسوق الرقمي)، وفي هذه الحالة يصبح الاستهلاك ضمنى في سياق الاستخدام. في هذا المعنى يضيف Josiane Jouët أن الاستخدام الفعلي المبني على الممارسة والتفاعل بين المستخدم (النشط) والآلة من شأنه أن ينقل الفرد من النمطية التي يحددها منتجي التقنية إلى مستوى التحويل والابتكار المستمر لتحقيق التوازن في بيئة تحمل العديد من العناصر غير المتجانسة.

هذا ما أورده دوسارنو Michel de Certeau في مؤلفه ابتكار الحياة اليومية L'invention du quotidien. عندما أضاف مفهوم فنون الفعل («Arts de faire» De Certeau, 1980, p. 25) التي بفضلها يلتوي ويتحايّل على الأشياء ليستخدّمها بطريقته الخاصة ويصنّف هذا الفن ضمن فنون العيش في المجتمع الاستهلاكي خاصة عندما ربط بين الاستراتيجيات التسويقية (ضيف، 2020، ص 198) وما منحه للمستخدمين من إمكانيات الاستثمار في تكنولوجيات الاتصال.

يمكننا القول، أن مفهوم الاستخدام مرتبط بالعديد من الدلالات والتصورات التي تناوب بين معنى التقنية مرة، والمعنى الاجتماعي مرة أخرى. فالأول يُترجم الممارسات الاجتماعية التي تُولد ثقافة معنى بفعل التكرار وقد تمتد بها إلى مفهوم العادات Customs التي تُعاش وتصبح جزءا من حياة الأفراد كما لو كانت طبيعية Experienced as natural، أما الثاني يشير إلى استعمال وسيلة معينة سواء كانت ذلك طبيعيا أو رمزيا لتحقيق هدف معين، وهذا هو المعنى الذي يوظف في سوسيولوجيا استخدام التقنية. sociology of technology usage

3- التملك: مقاربة مفاهيمية:

من الناحية الاشتقاقية، يُشتق مفهوم "التملك" من الكلمة اللاتينية appropriare، والتي تعني "جعل الشيء ملكًا خاصًا" أو "الاستحواذ عليه". يشمل هذا المفهوم بعدين: الأول يتمثل في فكرة تخصيص شيء لاستخدام معين، والثاني يتعلق بتحويل شيء ليصبح شخصيًا (فرديًا) أو مملوكًا بالكامل. بمعنى آخر، يتمتع الفرد بملكية كاملة للشيء. وفقًا لما ذكره كاجاما (Kagama)، فإن تحديد الخصائص الفريدة لوسيلة إعلام مهيمنة يتيح دراسة تأثيرها على الثقافة وطريقة عمل المجتمع. بالإضافة إلى ذلك، يشير التملك إلى القدرة على استخدام الشيء وتخصيصه لأغراض تبدو الأكثر ملاءمة، بغض النظر عن الغرض الأساسي الذي صُمم من أجله.

بمعنى آخر، يقوم المستخدم بتملك الأداة التقنية من خلال تخصيصها لأغراض تختلف عن تلك التي قصدها المصنّع. وفي هذا السياق، يُبرز سيرج برولكس (Serge Proulx) أن التملك يتعلق بالطريقة التي يكتسب بها الفرد المعرفة والمهارات اللازمة، ويسيطر عليها، ويحوّلها أو يعيد ترجمتها للتعامل بشكل فعال مع الأداة التقنية. تم استخدام مفهوم "التملك" بشكل متكرر للتأكيد على أن "المستخدمين يستحوذون على خصائص التقنية لتلبية تعبيراتهم الذاتية"

(Jouët, 1992, p181)، وأقل لوصف العلاقات الاجتماعية التي تشكل، مع ذلك الاطار الأساسي لهذه الذاتية التي تتجلى في التعامل مع التقنية .

تُعد مسألة استخدام الوسائل الرقمية وتملكها مترابطة بشكل وثيق (De Vaujany, 2005, p. 1-16) حيث لا يمكن للتكنولوجيا أو الأدوات الرقمية أن تساهم في خلق القيمة إلا إذا تم استخدامها ودمجها في ممارسات مستخدميها The practices، ويجسد ذلك الاتجاه النفعي الذي ينطلق منه مفهوم الاستخدام، ويؤكد على أن استخدام الأفراد للوسائل والتقنيات يقوم على أساس ادراك هؤلاء الأفراد لقيمة الفوائد التي تقدمها لهم ومدى تقديرهم لها في إطار مجموعة المتغيرات التي تقوم على أساس التجارب والخبرات التي اكتسبوها في علاقاتهم بهذه الوسائل .

حيث يمثل التملك مفهوماً متعدد الأبعاد ومعقدًا، يتطلب فهمه تفعيل وجهات نظر متعددة ، التأثيرات المختلفة، بما في ذلك: (Volkoff, Strong, & Elmes, 2007, p. 832-848)

- التأثيرات التكنولوجية Technological impacts .
- العوامل التنظيمية organizational factors .
- الجوانب البشرية Human aspects .
- الأبعاد الاستراتيجية Strategic demensions .

في مقال لها حول المقاربات المفسرة لامتلاك تكنولوجيا الاتصال تؤكد الأستاذة فضيلة سيساوي فكرة مفادها أن عملية امتلاك التكنولوجيا، في جميع الحالات، تظل عملية اجتماعية، هدفها الأساسي هو الوصول إلى مرحلة الدمج بين التكنولوجيا، وأسلوب الحياة الاجتماعية السائد Social life style. دون الانفصال عن مسار التجديد التكنولوجي. فعملية الامتلاك حسب الباحثة (سيساوي، 2011، ص 29) تستدعي اجتماع ثلاثة شروط كافية وضرورية وهي:

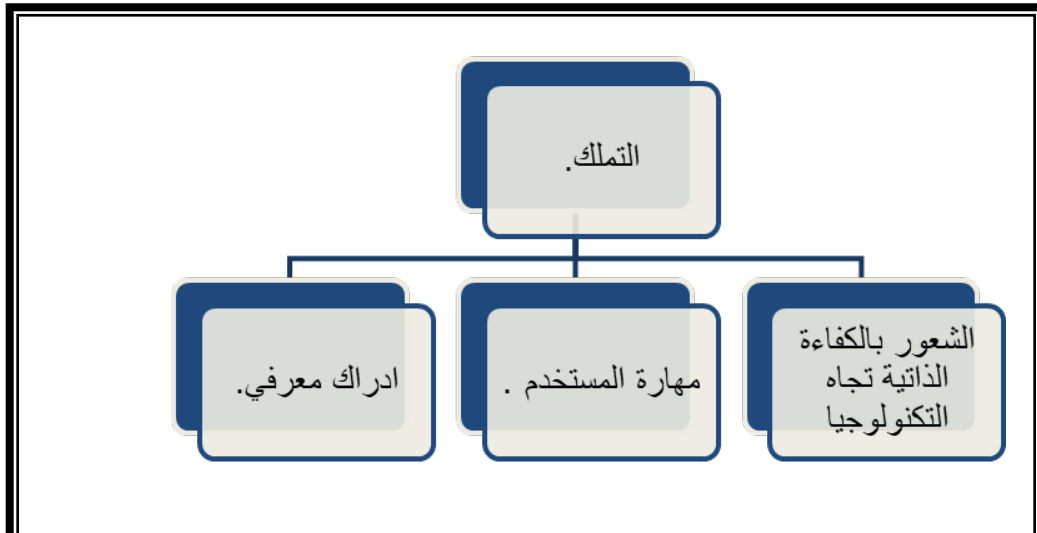
أ-وجود حد أدنى من التحكم الإدراكي والتقني في الموضوع أو الجهاز التقني .

ب-إدماج اجتماعي دال لاستخدام هذه التكنولوجيا في الحياة اليومية للإنسان .

ج-إمكانية أن تؤدي هذه التكنولوجيا المستخدمة إلى ظهور القدرة على الإبداع والخلق Creation .

إن التمتع في هذه الشروط الثلاثة التي تم ذكرها سابقا، تؤكد على أن امتلاك التقنية لا يفهم بمعزل عن متغيرات أخرى كالإدراك، والإبداع، والهوية، والثقافة التقنية مما يجعل عملية الامتلاك ليست وضعا نهائيا مستقرا، بل هي مستمرة دائمة التغير لارتباطها بحاجات ومتطلبات المجتمعات، تتأثر بالعوامل المحيطة بها في سياق الحياة الفردية للأفراد ليثبتوا عبرها ذواتهم ويعبروا عن هوياتهم . فمفهوم الهوية يعد محوريا في تحديد معنى التملك وجوهره، فالباحثين في حقل علم النفس يرون في التملك السبيل الذي يجلب للذات شيئا ما، أو أن يخل هذا الشيء ويُدمج في حياة الفرد أو الجماعة لتأكيد الذات، فنحن البشر لا نسعى لامتلاك إلا ما نرى فيه أنفسنا، أي أن التملك يخلق معنى للمستخدمين .

في ذات السياق، يتضمن تصور التملك التكنولوجي Technological appropriation الذي يشير إلى العملية التي يقوم بها المستخدمون باكتساب التقنية، وتكييفها بطريقة تناسب قيمهم، واحتياجاتهم وتحويلها من أداة خارجية مجردة، إلى جزء متكامل له أبعاده الملموسة في الحياة اليومية. تُترجم أبعاد التملك التكنولوجي في ثلاثة مستويات متميزة ومتكاملة وتفاعلية (موضحة في الشكل أدناه). في الواقع، يمكننا أن نفترض أن المشاعر الإيجابية تجاه التقنيات ستؤدي إلى تصورات أفضل للمهارات الشخصية والتي بدورها ستعزز الشعور بالكفاءة الشخصية عند استخدامها. ومن ناحية أخرى، فإن وجود شعور معين بالفعالية لدى المستخدم لا يقوده إلى إدراك أفضل لمهاراته فحسب، بل يؤدي أيضًا إلى تجربة انفعالات أكثر إيجابية تجاه التقنيات من خلال الاستيعاب المعرفي.



الشكل يمثل التصور المفاهيمي للتملك التكنولوجي .
المصدر : (Pelletier & Moreau, 2008, p. 75–117)

يمكن الإضافة بأن التملك التكنولوجي هو آخر محطة في السلسلة التي تنطلق من إتاحة الوصول Accessibility الذي يبدأ في الحصول على التكنولوجيا، إلى الاستخدام Usage الذي يتطلب قدرا معرفيا كافيا في تشغيل الأجهزة التقنية، فالاستعمال Utilisation الذي ينطوي تحت تبني التقنية ودمجها في مسار حياة المستخدمين .

4-مستويات ومسارات الاستخدام:

نريد الإشارة من خلال هذا الى مختلف الطرق والأساليب التي يتم من خلالها استخدام التقنية بداية من المستوى الفردي وصولا إلى الجماعي، والتطرق أيضا إلى الاستخدام اليومي في أبسط أشكاله إلى غاية الاستخدامات المعقدة التي تتجاوز الوظائف التي وجدت من أجلها التقنية استجابة وتكيف مع السياقات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية خاصة .

إن استخدام التقنيات وطيد الصلة بما يحمله الأفراد من تصورات وتمثيلات Representation مسبقة ترسخت في أذهانهم حولها، إذ لا يمكن الحديث عن تكوين الاستخدام دون العودة لكيفية تصورنا للوسائل، ففوة الوسائل تُستمد من التمثيلات التي نحملها عنها أولا، ثم استخدمنا لنا في مرحلة لاحقة. ولأن التمثيلات فردية تختلف من شخص لآخر ومن جماعة لأخرى في ظل المتغيرات الديموغرافية والبيئية، وأبعاد النظم الاجتماعية فإن كل تمثيل اجتماعي لأي تقنية هو بناء عقلي، مُستلهم من من المؤثرات السابقة، الأمر الذي يجعل من التمثيل محصلة تفاعل بين نتائج القيم والأفكار التي يحملها الأفراد وبين ما يتعلمونه من علاقاتهم مع الجماعات الأخرى كنشاط لبناء الواقع، والية للاندماج التكنو-اجتماعي، ولبناء الثقافة التكنولوجية التي تضم ثلاثة أبعاد(تقي الدين، 2018، 511) :

- الموروث التقني **Technical Heritage**: أي مجموعة الاتجاهات والمعارف حول التكنولوجيات المنتشرة والمتعلقة باستخدام هذه المواقع.
- الحاصل التقني **Technical Capital**: الذي يمتد من الوسط الاجتماعي للفرد إلى علاقته المتراكمة مع التكنولوجيا.
- المهارات التقنية **Technical Skills**: بما تضمه من معارف يمكن للفرد الاستظهار بها واستعراضها، وهو في علاقة بالتقنية بين البعدين السابقين.

ويمكن النظر إلى الاستخدام انطلاقا من الاعتبارات الآتي ذكرها: (Millerand, 2003, p. 126)

- 1- الاستخدام المتعلق باستعمال المستخدم للجهاز بما في ذلك سياق الاستخدام، التمثيلات الخاصة بالمستخدم، وتاريخه الشخصي في استخدام الجهاز و كل ما يشير إلى ذلك بدقة .

2- الاستخدام الذي يشير إلى طرق التعامل مع الأداة إما بصفة فردية أو جماعية ضمن ممارسة معينة حسب الهدف (الاستهلاك، التواصل، والعمل... الخ) -

3- الاستخدام الاجتماعي الذي يشير إلى جملة السلوكيات المستقرة و المحددة على نحو معين .

ويذهب الدكتور نصر الدين العياضي إلى اعتبار أن الاستخدام يمكن أن يكون ممارسة اجتماعية تقترب من مفهوم الطقوس، أو تحيل إلى استعمال الأشياء المادية أو الرمزية لتحقيق حاجات خاصة، (العياضي، 2012) وهذا المعنى هو المستوى الذي تناولته نظرية الاستخدامات و الإشباع Use and gratification التي تعتبر المستخدم نقطة محورية في العملية الاتصالية، وأن طبيعته وخصائصه وحاجاته (Needs) هي التي تتحكم في المضامين، لأن الاستخدام ضمن إحداثيات هذه النموذج الفكري الوظيفي (Functional)، مرتبط بقدرة التقنية على تحقيق الأهداف، وإشباع الحاجات والرغبات (Satisfaction)، حيث يرى شرام Schramm في هذا الشأن أن الإنسان يختار وسائل الإعلام التي يظن أنها سوف تحقق له الإشباع النفسي المطلوب . (ريفز وآخرون، 2005، ص 296)

أما الاستخدام من منظور الأهداف المرتبطة بتوظيف التكنولوجيا الحديثة في ممارسات الحياة اليومية يشير بالدرجة الأولى إلى الجانب الاجتماعي - الاستخدام الاجتماعي - الذي يربط المستخدم بهذه الوسائل لخلق ذلك عادات في تفاعله وتواصله مع جماعة المستخدمين ، و يبرز بالمقابل سلوكيات ملموسة ذات دلالة في حياتهم الاجتماعية ناتجة عن تعاملهم مع هذه الفضاءات بتواتر يختلف من فرد إلى آخر، إذ يتطلب ذلك حسب تحديدنا أدنى حد في التحكم الإدراكي، المعرفي، والتقني في التعامل مع هذه التقنيات بشكل صحيح و صائب بعد الوصول إلى التكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال .

وفي الوقت نفسه، قد تكسر هذه المسارات Trajectories of technology use ، التي تخص ممارسين عاديين أو مبتكرين، في لحظات معينة الإطارات المعيارية المقيدة، مما يؤدي إلى ظهور ممارسات واستخدمات جديدة تختلف بشكل كبير عن القديمة. ونتيجة لذلك، تحل قواعد جديدة وقوانين سلوك ديناميكية محل المعايير القديمة (Proulx, 2002, p. 180-189) بهذا، لا تمثل مسارات الاستخدام مجرد ترجمة لأنماط العادات لدى الممارسين؛ بل تشكل في الوقت ذاته مساحات خصبة للإبداع في الفعل الإنساني.

كما اقترح الباحث يحيى تقي الدين أربع مراحل تمثل مستويات الاستخدام في علاقته العملية الاستخدامية :

1- مرحلة المستخدم العادي: وهنا يكون المستخدم في مرحلة الاستخدام الأولي، حيث يبدأ بالتعرف على التقنية أو الوسيلة، وتمتاز هذه المرحلة بتوخي الحذر في بداية التجريب، وقد يكون في نظرنا الاستخدام في هذه المرحلة مقترنا بالانبهار .

2- مرحلة المستخدم المدمن النشاط: هنا يدخل المستخدم مرحلة النشاط الفعلي، ويعمل بطريقة مكثفة في استخدامه لهذه التقنية، واكتشاف كل ما يحيط بها.

3- مرحلة المستخدم المدمن غير النشاط: وهنا يدخل المستخدم بداية مله- بفضل في هذه الحالة توظيف مفهوم التعود بدل الملل الذي وظفه الباحث- من هذا التقنية، والتقليل من نشاطه، مع أنه يمكن أن يتداخل مع المرحلة السابقة وفقا للظرف الاتصالي .

4- مرحلة الملل وعدم التخلي/أو التخلي: وهنا يدخل المستخدم مرحلة الملل(التعود)، فيصبح متابعاً فقط في الكثير من الأحيان، لكنه في أحيان كثيرة لا يتخلى عن استخدام التقنية، وقد تدفعه البدائل الأخرى للتخلي والتغيير(تقي الدين، 2018، 326).

يجدر بنا الإشارة هنا إلى مفهوم اللااستخدام Non-use الذي يشير في أدبيات التخصص الى الامتناع عن استخدام الوسائل التقنية لقناعة شخصية، أو خضوعاً لقيود جماعية داخل البيئة الاجتماعية أو الثقافية للفرد (Jauréguiberry, 2012, p)

- اللااستخدام الاختياري(الطوعي) Voluntary non-use: وهي حالة من عدم التوافق بين حاجات ومعتقدات الفرد وماتطرحة التقنية من خصائص، كأن يتمتع بعض الأفراد استخدام المنصات الرقمية حفاظاً على الخصوصية .

- اللااستخدام المفروض Unvoluntary non-use: وهو يعبر عن وجود عائق خارجي يمنع الفرد من الوصول إلى التقنية كأن يرتبط هذا العائق بأمية تكنولوجية، أو ارتفاع تكاليفها.

- اللااستخدام المؤقت **Temporary non-use**: وهو قطعة مؤقتة بين المستخدم والتقنية لسبب معين يعود بعدها الفرد لحالة الاستخدام بمجرد زوال السبب.

يشير نيل سلوين (2003) Neil Selwyn إلى أن هناك ثلاث أسباب رئيسية تُطرح عموماً لتفسير حالات "اللااستخدام" المتأخرة:

- السبب التقليدي المتعلق بالنقص في الوصول أو الاستعدادات (سواء كانت اقتصادية، ثقافية، أو معرفية) (خوف من التكنولوجيا (التكنوفوبيا Technophobia)، ويتجلى في:
- الخوف غير المبرر من الانغماس في الذات بفعل استخدام الحاسوب.
- القلق من الآثار السلبية للأمواج الصادرة عن الهواتف المحمولة.
- النفور العام من التكنولوجيا.

- الرافض الأيديولوجي، والذي يتمحور بشكل أساسي حول مواضيع مثل: تحويل العالم إلى مادة جامدة، ميكنة الحياة **The mechanization of life**، نزع الطابع الإنساني **Dehumanization** التدريجي عن المجتمع (Selwyn, 2003, 112).

باستنادهم إلى نظرية "ميل الوضع القائم" **"status quo bias"** التي طورها ويليام صامويلسون وريتشارد زيكهاوسر (1988)، يقدم هي-وونغ كيم وأتريي كانكانهالي (2009) William Samuelson and Richard Zeckhauser and Atreyi Kankanhalli (2009) تفسيراً مبتكراً لحالة المقاومة لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات (TIC) يقترحون أن هذه المقاومة قد تكون ناتجة عن الراحة التي يوفرها الحفاظ على الوضع القائم كغير مستخدم، مقارنة بالتكاليف النفسية، التنظيمية، أو الاقتصادية التي قد تترتب على تبني الاستخدامات الجديدة. يتم تقييم الخسائر المتصورة أو المخاوف المفترضة مقارنة بالفوائد المتوقعة، مما يؤدي إلى اختيار الوضع القائم، أي حالة اللااستخدام.

ما تظهره الدراسة السوسيو-تاريخية لتقنيات الاتصال التي ظهرت منذ القرن التاسع عشر، وأساليب التمثيل المرتبطة بها بشكل جدلي، هو أن التطور التقني لا ينفصل، في آثاره الاجتماعية، عن الأسباب الاجتماعية التي تُنتجها. (Beaud, 1984, p153)،

يمكن أن نقول أن الاستخدام في أبسط صوره مقترن أولاً بالتبني **"Adoption"** من خلال اقتناء التقنية، أو الاستهلاك **"Consumption"** والتعبير عن طلب اجتماعي، لننتقل بعدها إلى مستوى التملك الذي يطلب من المستخدم اتقاناً تقنياً ومعرفياً للمعطى التقني، ودمجه بشكل هادف وبناء في ممارساته اليومية بالإضافة إلى إمكانية إجراء تحويلات واستحداثات وإعادة ابتكار بل وحتى المشاركة في تصميم الابتكار، حيث يتموقع مفهوم الاستعمال **l'utilisation** بين الاستخدام والتملك كوسيط يمثل العلاقة المباشرة مع التقنية بهدف دمجها في حياة الفرد.

خاتمة:

من خلال ما تم طرحه، يمكننا أن نخلص إلى أن العلاقة الثنائية بين استخدام التقنيات ومفهوم التملك قد فتحت نقاشاً واسعاً للدراسة والتحليل، وأن مجرد التشريح السطحي للمفهومين لا يمكنه أن يضع حداً لهذا الجدل، ذلك أن الأمر يتطلب الغوص في عمق التحولات التي أحدثتها الثورة التكنولوجية على مجمل جوانب الحياة البشرية، ولم تعد التقنية محصورة في الجانب الملموس فقط، بل أصبح يُنظر إليها على أنها إنتاج إنساني يحمله في طياته بعدين: الأول مادياً يتمظهر في الجانب الملموس الذي يتجسد في بنيتها وتركيباتها (هواتف، حواسيب، أجهزة إلكترونية)، أما المعطى الاجتماعي فيتترجم في الاستخدام البشري لها ذلك أن التكنولوجيا عابرة، ومتجددة قطعت مسافات زمنية من حيث البنية والوظيفة وأساليب الاستثمار فيها، فالتكنولوجيا في نظرنا لاكتسب قيمتها إلا من خلال الجانب الممارساتي لها والذي يختلف من سياق إلى آخر، على أن يكون هذا الاستخدام خاضعاً لأطر أخلاقية وقيمية تحدد المقبول والممنوع حسب التصورات الاجتماعية لمستخدميها، ذلك أنه لا يمكننا النظر للتقنية بعين محايدة لكونها أداة مادية مدمجة في سياقات اجتماعية محمولة بين أفرادها وحاملة لمعانيهم.

قائمة المراجع:

1. بوخنوفة، ع. و. (2007). المدرسة، التلميذ، المعلم وتكنولوجيا الإعلام والاتصال (أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، كلية العلوم السياسية والإعلام، قسم علوم الإعلام والاتصال، تحت إشراف نصر الدين العياضي).
2. العياضي، ن. د. (2012). الشباب والإنترنت في دولة الإمارات: مقارنة للتمثيلات والاستخدامات. المجلة العربية لعلوم الإعلام، (7)، 1-25. متاح بصيغة PDF على : <http://filaty.com/storage/beta/d0/d06e12724b48855b9b73ba7ac33bf3>
3. سيساوي، ف. (2011). قراءة في المقاربات المفسرة لاستخدام وامتلاك التكنولوجيا. مجلة العلوم الإنسانية، (36)، 45-60.
4. يحي تقي الدين. (2018). القيم الثقافية المكتسبة من خلال استخدامات الشباب الجزائري لشبكات التواصل الاجتماعي: دراسة اثنوغرافية. أطروحة دكتوراه، جامعة قسنطينة، تحت إشراف أوهابية فتيحة.
5. Boukhnoufa, A. W. (2007). L'école, l'élève, le professeur et les technologies de l'information et de la communication (Thèse de doctorat, Université d'Alger, Faculté des Sciences Politiques et des Médias).
6. Ayadi, N. D. (2012). Le jeune et Internet dans les Émirats Arabes Unis : Une approche des représentations et des usages. Revue arabe des sciences de l'information, (7), 1-25. Disponible sur : <http://filaty.com/storage/beta/d0/d06e12724b48855b9b73ba7ac33bf3>
7. Sissawi, F. (2011). Lecture des approches explicatives de l'utilisation et de la possession des technologies. Revue des sciences humaines, (36), 45-60.
8. Pelletier, C., & Moreau, É. M.-F. (2008). L'appropriation des technologies de l'Internet et ses facteurs critiques de succès. Revue internationale P.M.E, 21(2), 75-117.
9. De Vaujany, F.-X. (2005). La gestion stratégique des technologies de l'information : contextualisation de la littérature par une expérience imaginaire. Management International, 9(4), 1-16.
10. Millerand, F. (2003). L'appropriation du courrier électronique en tant que technologie cognitive chez les enseignants chercheurs universitaires. Vers l'émergence d'une culture numérique ? (Thèse de doctorat, Université de Montréal).
11. Perriault, J. (2008). La logique de l'usage. Essai sur les machines à communiquer. Éd. L'Harmattan.
12. Breton, P., & Proulx, S. (2002). L'explosion de la communication à l'aube du XXIe siècle. Éd. La Découverte.
13. Francis Jauréguiberry. (2012). Retour sur les théories du non-usage des technologies de communication. Serge Proulx et Annabelle Klein. Connexions : communication numérique et lien social, Presses universitaires de Namur .

14. Selwyn N. (2003), « Apart from technology : understanding people"s non-use of information and communication technologie in everyday life », *Technology in Society*, n° 25.
15. Chambat, P. (1994). *Technologies de l'information et société*, 6(3).
16. Millerand, F. (1998). Usages des NTIC : les approches de la diffusion, de l'innovation et de l'appropriation (1ère partie). *COMMposite*, 98(1). En ligne : http://commposite.uqam.ca/98.1/articles/ntic_1.htm
17. Proulx, S. (2002). Trajectoires d'usages des technologies de communication : les formes d'appropriation d'une culture numérique comme enjeu d'une société du savoir. *Annales des télécommunications*, 57(3-4), 276–291.
18. Volkoff, O., Strong, D. M., & Elmes, M. B. (2007). Technological embeddedness and organizational change. *Organization Science*, 18(5), 812–833.